دور رجال جمعية العلماء في الشرق الجزائري في نشر وتطوير التعليم العربي الحر (1931- 1956) منطقة الأوراس نموذجا

(أطروحة دكتوراه)*

The Role of the Men of the Association of Muslim Scholars in Eastern Algeria in Promoting and Developing Free Arabic Education (1931-1956) The Aures Region as a Model

د/ محمد محدادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ - جامعة غرداية

mohammed_mehdadi@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2024/10/15 تاريخ القبول: 2024/10/30 تاريخ النشر: 2024/12/15

ملخص:

يتناول هذا المقال دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في نشر وتطوير التعليم العربي الحر في منطقة الأوراس خلال الفترة الاستعمارية (1931–1956)، باعتبارها نموذجًا للشرق الجزائري. ينطلق البحث من إبراز ضعف الدراسات التي اهتمت بالبعد الثقافي للحركة الوطنية مقارنة بالبعد السياسي، رغم أهمية التعليم في إحداث التحولات الفكرية والاجتماعية. ويبرز المقال أن التعليم كان ساحة صراع رئيسية بين الإدارة الاستعمارية والمجتمع المسلم، حيث سعت جمعية العلماء إلى

* أطروحة نوقشت بقسم التاريخ بجامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله، بتاريخ: 2023/04/21، تحت إشراف الأستاذ جمال يحياوي. أنظر:
https://www.pnst.cerist.dz/detail.php?id=56728

مقاومة سياسة الفرنسة عبر إنشاء المدارس الحرة والمساجد والكتاتيب. كما يوضح دور رجال الجمعية في نشر الوعي الديني والوطني وتكوين نخبة محلية قادت حركة الإصلاح. وفي الأوراس، ساهمت الظروف الاجتماعية والثقافية في استقبال الفكر الإصلاحي وانتشاره تدريجياً. وقد أدى ذلك إلى تأسيس شبكة من المؤسسات التعليمية التي أحدثت تحولاً في البنية الفكرية والاجتماعية للسكان. ويؤكد المقال أن هذه الجهود ساهمت في إحياء الهوية الوطنية وتعزيز الروح المقاومة. كما لعب التعليم الإصلاحي دوراً أساسياً في تهيئة المجتمع الأوراسي للانخراط في الحركة الوطنية والثورة التحريرية لاحقاً.

الكلمات المفتاحية: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التعليم العربي الحر، منطقة الأوراس، الإصلاح التربوي، الهوية الوطنية.

Abstract:

This article examines the role of the Association of Algerian Muslim Scholars in promoting and developing free Arabic education in the Aures region during the colonial period (1931–1956), as a case study of Eastern Algeria. The study highlights the limited academic focus on the cultural dimension of the national movement compared to its political aspects, despite the crucial role of education in producing intellectual and social transformations. It shows that education was a key arena of conflict between the colonial administration and the Muslim society, as the Association sought to resist the policy of French assimilation through the establishment of free schools, mosques, and Qur'anic schools. The article also emphasizes the contribution of the

Association's activists in spreading religious and national awareness and in training a local elite that led reform activities. In the Aurès, social and cultural conditions facilitated the gradual reception and spread of reformist ideas. This led to the creation of an educational network that transformed the intellectual and social structure of the population. The study concludes that these efforts helped revive national identity and strengthen the spirit of resistance. It also stresses that reformist education played a fundamental role in preparing the Aurès society to later join the national movement and the Liberation Revolution.

Keywords: Association of Algerian Muslim Scholars, Aurès Region, Algerian National Movement, Educational Reform, National Identity, National Awareness, Free Schools, Reform Movement.

مقدمة:

إن المتتبع للإنتاج الأكاديمي المهتم بتاريخ الحركة الوطنية الجزائرية خلال الحقبة الاستعمارية سيلاحظ وبشكل بارز قلة الأبحاث والدارسات التي تناولت المباحث الثقافية في مقابل كثرة تناولها للقضايا السياسية.

ورغم أن المسائل الثقافية تعد حقلا خصبا في الدراسات التاريخية لما تمثله من أهمية بالغة كمدخل وجيه لتناول تطور المجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية، وهذا لما تطرحه من إشكاليات وتساؤلات مرتبطة بالتطور في الأفكار والذهنيات وأثر هذا في التحولات الاجتماعية والسياسية وحتى الاقتصادية التي عرفتها الجزائر.

وقد كان التعليم إلى غاية الفترة الزمنية المدروسة، الفاعل الأساسي في إحداث تحولات جوهرية على الصعيد الثقافي والفكري حيث كان لهذه التحولات دور بارز في الحراك الاجتماعي والسياسي.

من هذه الأهمية التي اكتساها "التعليم" من خلال دوره سابق الذكر، فإن الأطراف المتعارضة في جزائر الاستعمار ممثلة في "الإدارة الاستعمارية " و"المجتمع الأهلي المسلم " قد كان أحد أبرز ميدان للمجابهة بينهما، بكل آلياته ووسائله من "المعلم " ومؤسسات "المدرسة والمسجد والكتاب والزاوية " ووسائلها التعليمية وطرائق التعلم و"المنهاج " بمواده التدريسية التي تعكس مضمون المادة التعليمة وحمولتها الفكرية ومراميها المختلفة لما تهدف من تغيير في ذهن وسلوك الفرد المتعلم الناشئ ومنه المجتمع ... وما إلى ذلك من وسائل أخرى حسب تطور كل طرف في هذا الجانب، وإن كانت هذه الإمكانيات غير متكافئة بين الطرفين بسبب التباين الكبير والهوة في تطور النظرية والعملية التعليمية وكذا ما تحتاجه من إمكانيات مادية، بين الطرف الاستعماري والطرف الأهلي المسلم.

وقد اشتدت حمى المجابهة في هذا الميدان بظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كمنظمة وطنية ساهمت في محاربة الاستعمار الفرنسي ثقافيا وحضاريا، بإعداد رجال من طلبتها التي وجهتهم لأداء رسالة التعليم والتربية من خلال مؤسساتها خاصة منها " المدرسة والمسجد" التي نشرتها في مختلف ربوع الوطن.

وتعد منطقة الشرق الجزائري أهم مناطق الوطن للحركة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين لأسبقيتها في العمل التعليمي والتربوي فيها، زيادة على أنها المنطقة التي كانت تضم عاصمة الإصلاح قسنطينة التي بفضلها أشاعت وأنارت المناطق المجاورة لها، ولعل منطقة الأوراس إحدى هذه المناطق التي كان أبناؤها متعطشين للتعليم العربي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لما وصلهم عنها من إخوانهم الذين أتيحت لهم فرصة الالتحاق بمدارسها بقسنطينة، وأيضا إيمان بعض

أبناءها المزكين من طرف علماء الجمعية بأهمية دورهم في نشر التعليم الإصلاحي في أوساط أفراد مجتمعهم، فأسسوا عدة شعب ونواد ومدارس ومساجد، باشروا من خلالها النهضة التعليمية والإصلاحية التي تعدت إلى أدوار مختلفة اجتماعية وسياسية ببعد توعوي لإصلاح المجتمع والنهوض به من حالات التخلف وللامبالاة، وذلك بتوطين التعليم والثقافة العربية الاسلامية الحية المساهمة في القضاء على المظاهر السلبية المختلفة واللامبالاة وتفعيل وإحياء المظاهر الايجابية الموجودة به خاصة ما ارتبط بالحياة الثقافية، ومن هنا كان اختيار موضوع بحثنا الموسوم ب " دور رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالشرق الجزائري في نشر وتطوير التعليم العربي الحر " 1931م_ 1956" منطقة الأوراس أنموذجا .

1- حدود الدراسة المكانية والزمانية:

إنّ فترة هذه الدراسة بحثنا التي نتناولها بالبحث تمتد في إطارها الزماني من سنة 1931م إلى 1956م، وهي الفترة الممتدة من تاريخ ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في05 مـاي 1931م والتي تعد الإطار التنظيمي للحركة الإصلاحية المعنية بدراستنا والتي تبنت التعليم المعني ،ونهايتها سنة 1956م وهي تاريخ حل الجمعيات وأحزاب الحركة الوطنية وانضوائها تحت جبهة التحرير الوطني وقد كانت جمعية العلماء واحدة منهم، وإن بقي العمل الإصلاحي لجمعية العلماء في الميدان التعليمي والتربوي ساري المفعول على تراجعه وتضاؤله نسبيا حتى بداية الاستقلال 1962م.

هذه المرحلة التي عرفت فيها منطقة الأوراس تطورات على مستوى العمل التعليمي من بداية انتشاره المحتشمة عند بداية تأسيس أول شعبة إصلاحية بها إلى سيادته بشكل أصبحت لا تخلو قرية أوراسية من خدمة نشاطات جمعية العلماء المسلمين فيه، وفيها برز رجال خاضوا معترك النشاط التعليمي تحت غطاء جمعية العلماء مساهمين في نشره وتطويره برؤية حديثة وعصرية إلى حد ما، وهو ما استطاعت به جمعية العلماء التأثير والمساهمة في التغير الثقافي والاجتماعي وامتد حتى

إلى السياسي في المنطقة، ويظهر ذلك في استفادة أبنائها وساكنتها من التعليم والتوعية الثقافية والاجتماعية وقلب الكثير من المعطايات بها، كما استطاعت الجمعية من أن تصنع من أبنائهم روادا في العمل التعليمي حتى على المستوى الوطني.

2- إشكالية الدراسة:

أما الإشكالية التي حددتها لدراسة هذا الموضوع تمثلت في آلية الحراك التعليمي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي شهده فعل التطوير والنشر من خلال دور رجالها بالشرق الجزائري ومنطقة الأوراس كحالة منها، وقد جاء سؤالها كالتالي :

_ فيما يتجلى الدور التعليمي الذي اضطلع به رجال جمعية العلماء المسلمين بالشرق الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية الممتدة من 1931م إلى سنة 1956م ومأثر جهدهم هذا في منطقة الأوراس في نقل التعليم بها من حالة البؤس والانحصار إلى حالة التطور والازدهار و التوسع؟

وقد تفرع من هذا الإشكال الرئيس مجموعة من التساؤلات الأساسية ومن ذلك:

- ماهي الظروف التي شكلت تهديد لجمعية العلماء ؟

- ماهي المنطلقات والخلفية الفكرية والدينية والسياسية والقومية للتعليم لدى جمعية العلماء ؟

3- ما هي أبرز جوانب التنظيم والتحديث الذي جرت على تعليم جمعية العلماء والتطورات التي عرفها في سبيل توطينه في المشهد الثقافي والاجتماعي للمجتمع الجزائري المسلم ؟

4_ماهي الظروف الثقافية والاجتماعية للأوراسيين التي هيأتهم لاستقبال الفكر الإصلاحي لجمعية العلماء ؟

5_ما هو سر الاحتضان الكبير والانتشار الواسع للنشاطات التعليمية في منطقة الأوراس، وهي المنطقة التي كانت أبعد ما يكون من حيث بناءها الثقافي والاجتماعي في استقبال مؤسسات جمعية العلماء وعلى رأسها مؤسسة التعليم؟

6 - ما هو دور جمعية العلماء في نشر التعليم بالمنطقة؟ وإلى أي مدى حققت نجاحا في هذا الميدان؟

7- ما مكانة تعليم الجمعية من حيث تطوير الوعي والنهضة والمساهمة في استعادة وتعزيز مكونات الشخصية الوطنية في الأوراس؟

8- ما هي جهود رجال جمعية العلماء في التعليم بالمنطقة؟

9- كيف استطاع المشرفون والناشطون في التعليم لدى الجمعية رغم إمكاناتهم وعددهم المتواضع من تحقيق أهدافهم، والوقوف في وجه التحديات، وعراقيل إدارة الاحتلال بإمكانياتها الضخمة ؟

10- ما هو أثر التعليم في الجمعية على تطور تعليم الجهات (التنظيمات) الأخرى؟

11- ما الدور الفعال والحقيقي للعمل التعليمي لجمعية العلماء في إعادة بعث المجتمع الأوراسي ونهضته وبعث الروح الوطنية فيه، والدفع به في تيار التاريخ، وإخراجه من عزلته الجغرافية والزمنية والثقافية لتنهض وتقوم بأهم دور في استقلال الوطن؟

12- بماذا تميز التعليم لدى جمعية العلماء في الأوراس عن غيره في الجهات (المناطق) الأخرى من الوطن؟

3- مناهج الدراسة

لما كان على الدارسين والباحثين في مجال الأبحاث والدراسات الأكاديمية خاصة في العلوم الإنسانية عامة وعلم التاريخ بوجه خاص الاستعانة بجملة من المناهج بهدف الوصول إلى حقائق علمية، وبطبيعة الحال فإن نوع الدراسة وطبيعتها تفرض منهجا

معينا أو عدة مناهج لتحقيق الغاية، انطلاقا من هذا الموضوع قيد الدراسة فإنه قد فرض علينا الاستعانة بالمناهج التالية:

1.2 المنهج التاريخي:

قد أعاننا في جمع المعلومات عن الأحداث والحقائق الماضية المرتبطة بموضوع بحثنا وفي فحصها ونقدها وتحليلها والتأكد من صحتها، وفي عرضها وترتيبها وتفسيرها واستخلاص التعميمات والنتائج العامة منها، والتي لا تقف فائدتها على فهم أحداث ووقائع الماضي فقط، بل تتعداها إلى المساعدة في تفسيرها، فهو بذلك عملية يحاول من خلالها العقل البشري استرجاع معطيات الماضي لتحقق من مجرى وسير الأحداث، وذلك يتم من خلال بعض الحقائق والأحداث ومتابعتها تاريخيا مما أثبته المؤرخون وأقرته المصادر التاريخية، وقد غطت حاجتي له كل مراحل الدراسة .

2.2 المنهج الوصفي:

نهدف من خلال توظيف هذا المنهج في دراستنا للوصول إلى المعرفة الدقيقة والتفصيلية عن الموضوع انطلاقا من وصف الأحداث وجمع المعلومات الدقيقة حوله وهو الأخر يكاد يغطي توظيفنا له جميع أطوار الدراسة.

3.2 المنهج الإحصائي:

قد فرض علينا موضوعنا خاصة في بعض جوانبه إلى استعمال أرقام وجداول قد تساعدنا في استنتاج قضايا تاريخية ومعرفية تخدم بحثنا.

4.2 المنهج المقارن:

يعد المنهج المقارن من أهم المناهج التي تساعد على توضيح الحقائق وتجلي القضايا والمواقف، قد أجد نفسي في مثل هذا الموضوع ملزما به خاصة في مقارنة جهود رجال جمعية العلماء بالأوراس برجالها بالمناطق الأخرى لأقيم تقييما علميا، أو ليتضح إلى أي مدى وفق رجالها في مشروعها التعليمي .

5.2 المقابلات:

تعتبر المقابلة من الأدوات الرسمية لجمع المعلومات والبيانات في دراسة الأفراد والجماعات الإنسانية، وقد يكون لدراستنا حاجة ماسة إليها لقلة مصادرها المكتوبة وقربها زمانيا من بعض الشخصيات الحية التي يمكنها أن تمدنا ببعض المعلومات عنها وتسد لنا فراغات لا يمكن الوصول إليها من غيرها من المصادر مهما علت قيمتها.

4- المصادروالمراجع المعتمدة في الدراسة

كما فرضت عينا جدية الموضوع الاعتماد على جملة من المصادر والمراجع والوثائق الارشيفية، ولعل أهمها اعتمادنا على الوثائق والتقارير الأرشيفية التي كانت في نظرنا قليلا نسبيا، رغم جهدنا في البحث والوصول إلى هذا النوع من المادة المصدرية لما تمثله من أهمية وقيمة في البحث التاريخي، وهذا يعود لشحّها في موضوعنا لأسباب تأتي الإشارة إليها في صعوبات البحث، رغم ذلك فقد اعتمدنا على وثائق أرشيف قسنطينة بالاطلاع على وثائق الإدارة المحلية لبلديات الأوراس، وقد تجدني في هذه الدراسة محتاجا للاعتماد عليها لقيمتها في منحي صورة مفصلة على الوضع الاقتصادي والوضعية المعيشية للسكان مزودة ببيانات إحصائية وهو ما سوف نعتمده لإبراز الأوضاع التي اشتغل عليها المعلمون الإصلاحيون في الأوراس وأيضا قد تمكنني من تفسير العديد من النتائج والحقائق المرتبطة بهذا الجانب وما يليه فيما تعلق بالتعليم في الأوراس.

وكذلك ملف الشيخ محمد الغسيري وهو ملف مكون من مجموعة من الأوراق والكراسات التي دون فيها مذكرات دروسه وأفكاره، وقد استفدنا منها في إبراز جهده ومسيرته التعليمية، وفي بعض الأحيان حتى في تعزيز موقفنا في حدث أو رأي لاعتباره مثال جلي يعكس جهد الحركة لإصلاحية ونشاط التعليم فيها.

زيادة على اعتمادنا على وثائق الأرشيف الفرنسية والتي ساعدتنا في إبراز التحديات التي واجهتها نشاطات جمعية العلماء في الأوراس في ميدان التعليم والتضييق والملاحقة، وكذا في تسجيل أسماء المدارس ومناطقها ومعلميها.

وأيضا قد فرض علينا طبيعة ومحتوى بحثنا الاعتماد على صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثار قادتها، وفي مقدمتها صحيفتي الشهاب والبصائر اللتان كانتا ذات حضور وافر خاصة في الفصول الأولى من الدراسة إضافة إلى أثار الشيخين ابن باديس والبشير الإبراهيمي ومذكرات محمد خير الدين وتوفيق المدني، وقد تم اعتماد مادة هذه المصادر كمصدر أولي وأساسي عوضنا إلى حد بعيد الوثائق الأرشيفية التي نقصت إلى حد كبير حول موضوعنا هذا خاصة ما تعلق بوثائق الأرشيفات الفرنسية .

زيادة على اعتمادنا على وثائق لبعض العائلات والأفراد التي تخدم موضوعنا، وقد كان الوصول إلى بعضها صعب استغرق منا جهدا ووقتا طويلا كان على حساب مدة إنجازنا هذا العمل في أجاله المقبولة، وهذا نظرا لتمنع وتحفظ أصحابها في وضعها في متناول الباحثين، والحمد لله لقد كان أخير مسعانا وجهدنا وإصرارنا مكلل بالتوفيق إلى حد بعيد، رغم أن هناك من الوثائق التي مازالت مدفونة في خزائن أصحابها قد تفيد في كتابة تاريخ المنطقة.

إضافة الى المقابلات والرواية الشفوية لاعتبار ان الرواية الشفوية والمقابلة تكتسي أهمية بالغة في البحوث التي تناول موضوعات لفترة زمنية قريبة من الدارسة، وموضوعنا قريب زمانيا في أحداثه فقد كانت الرواية الشفوية والمقابلة إحدى مصادرنا فيه للاستفادة منها في إثراء مادة البحث والدراسة وهذا لما شملته من معلومات ومعطيات تعذر علينا في كثيرها الحصول عليها في الوثائق المختلفة، كما كان موضوعنا في كثير من أجزاءه في أمس الحاجة للجوء إلى المقابلات التي قد تكون مهمة وعديدة نستفيد منها في التحقيق في بعض الفراغات التاريخية التي قد لا نعثر عليها في المراجع والمصادر وكذلك في توضيح بعض الأحداث فضلا على أهميها في تطعيم البحث، وقد

نضطر إلى اعتماد مقابلات تعد مصادر ثانوية كشخصيات سمعت عن الشخصيات المعنية بموضوعنا فيقلل إلى حد ما في القيمة التاريخية والمصدرية لهذه الشهادات مما فرض علينا التعامل معها بحذر كبير رغم عدم قدرتنا الاستغناء عنها.

أما التأليفات والكتب فقد اعتمدنا على كتابات الباحثة فاني كولونا، وإن لم تظهر بشكل كبير في مراجعنا غير أنني استفدنا منها الكثير واستطعنا من خلالها الاقتراب من بناء الماضي الثقافي والاجتماعي للأوراس خاصة بما يتعلق ببعض الممارسات والشخصيات التي أنقذتهم بمقالاتها من النسيان وهو ما حفزنا على النحو منحاها محاولين محاكاتها منهجيا ومعرفيا مع الشخصيات اللاحقة زمانيا المرتبطة بموضوع بحثنا.

وبخصوص المراجع كان اعتمدنا على كتاب الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر (1925- 1940م) للأستاذ علي مراد الذي قد يفيدني في الخلفية الفكرية لموضوع دراستنا والجانب المنهجي وإنارة كثير من الزوايا في الموضوع الذي اتسم في دراسته بالشمولية .

وأطروحة عبد الحميد زوز الموسومة ب" الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي (التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية)1837_1939، يعد هذا التأليف من الأهمية بمكان بالنسبة لمثل دراستنا للخلفية المعرفية التي يمنحها لنا في موضوعنا وهذا لاعتبار عدم تقاطعنا معها زمنيا .

وفعلا فقد استأنسنا بها في العديد من القضايا والمواقف التي احتاجتها دراستنا خاصة ما تعلق ببعض الحقائق عن المجتمع الأوراسي والتي تبنينا فيها تحليل وموقف أو رأي، وما عزز هذه القيمة فيها الثقة التي فرضتها لما تميزت به من جدية وتوثيق ارشيفي معتبر، زيادة على ما مثلته من شمول لجميع جوانب الحياة ولفترة زمنية معتبرة، هذه الميزة للفترة الطويلة والتي غالبا ما تذهب بالدراسة للتناول الأفقي غير أن

هذه الأطروحة لم تفقدها دراستها العمودية العميقة حيث يمكن وصفها بالعمل الموسوعي الذي خص منطقة ومجتمع الاوراس.

كما لا يفوتنا التنويه والذكر لمؤلف محمد الطاهر فضلاء :المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر ،كل اجراءه الثلاث وإن كان اعتمادنا الاساسي على الجزء الاول لما يعنيه أكثر بمنطقة دراستنا.

اعتمادنا على مؤلفات رابح تركي عمامرة والتي تشابهت مادتها إلى حد بعيد ما جعل تركيزنا على مؤلفه "التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931_1956)" أكثر، وقد وفر لنا مادة خام للفصول الأولى ما جعل حضوره مهم فيها، زيادة على كتابات ابو القاسم سعد الله المختلفة والتي لا يمكن الاستغناء عنها في مثل موضوعنا هذا، وقد كانت حاضرة في أغلب فصول الدراسة وإن اقتصرت في كثيرها على إشارات وومضات عززنا بها موقفنا أو تحليلنا أو سدينا بها ثغرة في الأحداث التاريخية للموضوع.

وبالمثل كان كتاب أحمد الخطيب "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر وغيره من التأليفات التي تناولت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

5- أهمية الدراسة:

تكمن اهمية الموضوع في ابراز دور معلمي مدارس جمعية العلماء بمنطقة الاوراس في يقظة المنطقة وتوسيع شبكة المدارس بها وهو ما بدا للوهلة الاولى عملا بسيطا قد لا يبعث على المراهنة عليه في احداث التغيير الذي تحقق فعلا بعد عقود قليلة ،خلف بعدها وعيا جعل من المنطقة مهنئة لاستقبال كل المشاريع الوطنية على رأسها الثورة التحريرية التي حققت أسمى هدف وهو الاستقلال

نهدف من وراء دراستنا إلى إماطة اللثام عن طور زمني في تاريخ منطقة الأوراس كان وضعية الانطلاق لما سوف تتولاه هذه المنطقة من دور ومهمة حاسمة في التاريخ الوطني

" الثورة التحريرية"، وهذا من خلال الحفر في الحقائق التاريخية العميقة والتي نرى تجليتها في التاريخ الاجتماعي والثقافي للشعوب والمجتمعات، فكانت دراستنا جانبا من هذه المهمة .

إضافة إلى محاولة إنقاذ جانب مهم من تاريخ شخصيات أوراسية من النسيان كانت لها جهود وساهمت بقسط كبير في تاريخ المنطقة والوطن.

زيادة على محاولتي إظهار تاريخ الأوراس الثقافي في جانبه التعليمي للفترة المعاصرة وهو جانب مهم أهمل إلى حد ما من قبل الدارسين بسبب انحصار الدراسات والأبحاث التاريخية للمنطقة على تاريخ الثورة.

إضافة إلى إبراز دور وما مدى مساهمة تعليم جمعية العلماء المسلمين ومدرستها في التحولات التي عرفتها الأوراس ودفعت بها إلى الثورة على المحتل.

فتح الباب للباحثين والدارسين من المؤرخين والطلبة ولفت نظرهم لدراسة تاريخ الأوراس بالتركيز على تناول القضايا والإشكاليات الثقافية والاجتماعية بداية للانتقال للقضايا والإشكاليات السياسية والعسكرية وهذا لاعتقادنا أن ما هو سياسي واقتصادي أو عسكري يأتي تاليا لاعتباره نتيجة ومخرج بعدي للثقافة والمجتمع، وبذلك لا يمكن التأريخ للظواهر الاقتصادية والعسكرية والسياسية أو الوصول إلى معرفة وحقيقة تاريخية دون معرفة تاريخية اجتماعية وثقافية للمجتمع المدروس.

6- محتوى الدراسة:

أما بخصوص محتوى الدراسة فقد قسمنا عملنا هذا إلى مقدمة وبابان تضمنا أجمالا سبعة فصول ومجموعة من المباحث بدورهم قسموا إلى مطالب وهذا حسب ما تمليه علينا الدراسة وأخيرا انتهينا إلى الخاتمة .

المقدمة عرضنا فيها التعريف بالموضوع وبين أهميته فإشكالية الدراسة وأسئلتها مرورا بمبررات البحث في هذه الدراسة والصعوبات التي واجهتنا فيها، كما وقفنا على

المناهج التي اعتمدناها في البحث إضافة إلى الدراسات السابقة ووصف البيبلوغرافيا التي شكلت أهم المصادر والمراجع التي عدنا إليها ووجهت دراستنا إلى حد كبير وعرجنا على الخطة المعتمد فى عملنا هذا و كذا الوقوف على أهم المصطلحات والمفاهيم الدراسة وأخير ما سوف تكون عليه الخاتمة.

قسمنا الدراسة إلى بابان، الباب الأول حمل عنوان :ج ع م ج (النشأة والمشروع) ،وبدوره قسناه لأربعة فصول، وفيه قدمنا فكرة ومشروع ج ع م ج مركزين الدراسة على الجانب التعليمي لعلاقته الرئيسية بموضوعنا، وجدير التنويه بأن هذا الباب عوضنا وأكفانا التطرق لإقليم الشرق وهذا تجنيا للتكرار لاعتبار أن ج ع م ج كانت بدايتها ومركز نشاطها إقليم الشرق فما صدق عنها في الوطن كان في الشرق.

تناولنا في الفصل الأول الذي أخذ عنوان " الحياة العامة في الجزائر قبيل نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" ،جاء تحته أربعة مباحث رئيسية كان المبحث الأول قد تناول الحالة السياسية، والثاني قد تطرقنا فيه إلى الحالة الاقتصادية التي اظهرنا التحولات في القوانين الاقتصادية جراء السياسة الاستعمارية الجديدة التي فلبت التوازن الذي كان يحققه المجتمع مع بيئته واتبعه من نتائج والمبحث الثالث الحالة الاجتماعية، وهى الأخرى تناولنا فيها التحولات الاجتماعية التي كانت انعكاس للسياسات الاقتصادية والقوانين السياسية وحتى الثقافية أما المبحث الرابع تعرضنا فيه للحالة الثقافية وقد بينا واقع التعليم والثقافة والسياسة الثقافية الفرنسية

وعموما بينا التحولات والظروف التي ظهرت فيها ج ع م جفي ظل الاستعمار من خلالها تعرفنا على السياق التاريخي الذي ظهرت فيه الجمعية وبنت عليه مشروعها ونشاطاتها.

الفصل الثاني الذي أخذ عنوان المشروع الإصلاحي في الجزائر "الجذور والتوطين"، تناولنا في مبحثه الأول جذور الفكرة الإصلاحية في الجزائر وتطورها حتى ظهورها في إطار تنظيمي وقانوني تحت اسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم تطرقنا في المبحث

الثاني إلى جهود الشيخ ابن باديس كرجل الإصلاح الذي كان له الفضل في هذا التأسيس ووقفنا على مسيرته الإصلاحية من نشأته إلى اعتناقه الفكرة الإصلاحية إلى جهده في توطينه مبرزين خطته وموهبته في ذلك، ثم كان لنا في المبحث الثالث "نشأة جمعية العلماء" وفيه تناولنا فكرة الجمعيات في الوسط الأهلي فترة الاستعمار مبرزين التطورات التي عرفتها مؤسسة الجمعية كآلية حديثة جاءت مع الاستعمار كوسيلة غزو، حتى تبني المجتمع الأهلي المسلم لها وتطويعها كوسيلة مقاومة، وكيف اعتمدها الفريق الإصلاحي كمؤسسة وتنظيم لمشروعه، وبعد هذا تطرقنا إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتتبعنا الخطوات والجهود المضنية التي مر بها الشيخ ابن باديس وفريقه لتأسيس جمعيتهم وكيف تطورت فكرة التأسيس نظريا وعمليا حتى ظهورها في الواقع عام 1931م، لننتقل بعدها لميلادها وتحدثنا على حيثيات هذه الولادة لنتبعها بعرض للمبادئ والأهداف التي سطرتها في مشروعها هذا لتحقيق نهضة المجتمع الجزائري المسلم.

والفصل الثالث حمل عنوان الفكر والمشروع التعليمي عند ج م م ج وجاء تحته مبحثين، الأول تناولنا فيه الرؤية التعليمية لجمعية العلماء وقصدنا من خلاله إظهار المحددات التي وجهت التعليم لدى ج ع م ج لإحداث التغيير المقصود في المجتمع الجزائري وجوانب التحديث التي تبنتها ج ع م ج في التعليم وهي الجوانب التي خرجت بها في تعليمها من تعليم تقليدي إلى تعليم عصري وحديث قادر على حمل طموحات مشروعها في التغيير، والمبحث الثاني وقفنا فيه على التجارب الأساسية لقادة ج ع م ج في التعليم وهي التجارب التي أسست لتعليم الجمعية في كل مدارسها عبر كل القطر الجزائري معرفيا وطريقتا ومقاصد ،فكانت بذلك المثال العملي والفكري للمعلم العربي عند ج ع م ج.

والفصل الرابع: تناولنا في المبحث الأول نظام التعليم وفيه تطرقنا إلى المقررات التي اعتمدتها الجمعية في تعليمها خلال كل مراحله، والمبحث الثاني تناولنا تنظيم الجمعية للتعليم من خلال الوقوف على رزنامة العطل وكيفية توظيف معلميها والامتحانات

والشهادات والتفتيش والتمويل والمبحث الثالث تناولنافيه واقع مؤسسات التعليم من التعليم المسجدي إلى المدرسي وحتى روافده كالنوادي والكشافة،وقد تتبعنا التطورات التي حصلت في تعليم الجمعية خاصة التعليم المدرسي .

أما الباب الثاني فعنوناه ب: تعليم ج ع م ج في الأوراس: الواقع والأثر قسمناه إلى ثلاثة فصول خصت النموذج المدروس وبذلك حضر فيها الجزء المهم للإشكالية كما كان الحضور الكبير لأسئلتها.

فصله الأول أخذ عنوان تطورات الأوضاع في الأوراس عشية حضور ج ع م ج في المنطقة، تناولنا في مبحثه الأول الحالة العامة الأوراس عشية ظهور جمعية العلماء وتتبع هذه الحالة التي أعطتنا صورة لما كانت عليه الاوراس في جميع ميادين الحياة، وهي الأحوال التي انطلقت منها واشتغلت عليها شعب ورجال جمعية العلماء.وفي المبحث الثاني تناولنا فيه بوادر انتشار فكر ومؤسسات العلماء في الأوراس وهى الأفكار التي أسس لها شخصيات إصلاحية محلية سبقت الفكرة الإصلاحية الوطنية وقد ساهمت بقدر معتبر جهودهم في تهيئة العقول وحتى المؤسسات الثقافية وعلى رأسها التعليمية للتحول القادم مع وفود الفكرة الإصلاحية لجمعية العلماء، ثم كيف تطورت الأوضاع لظهور الطلبة المستفيدين من الفكرة الإصلاحية بمباشرتها بالجامع الأخضر وكيف ساهموا في نقل هذا الفكر وتأسيس شعب جمعية العلماء م ج .

الفصل الثاني أخذ عنوان جهود رجال التعليم في منطقة الأوراس، وقد كان تركيزنا على هذا الفصل كبير لعلاقته المركزية مع سؤال الإشكالية وقد قسمناها إلى مبحثين، المبحث الأول خصصناها لرجال التعليم في مؤسسة المسجد وبينا مساهمتهم الكبيرة في إشعاع مناطقهم الريفية، والمبحث الثاني تناولنا فيه جهود معلمي المدارس والذين كثروا لسيادة التعليم المدرسي في تعليم جمعية ع م ج، وقد كانت قائمتهم كبيرة فخصصنا لبعضهم ترجمة مفصلة والبعض الأخر تم ذكره

باختصار وقد أكفانا ما ذكرنا في ما بقي من العدد الكبير الذي لم يأتي ذكر له في الدارسة.

الفصل الثالث جاء تحت عنوان مدرسة العلماء والمجتمع الأوراسي؛ حدود الأثر والتفاعل، وقسمناه لثلاثة مباحث واقع التعليم المدرسي لج ع م ج بالأوراس وفيه وقفنا على المدرسة الإصلاحية بالأوراس تطوراتها وانجازاتها ومصاعبها، وكان مدرسة النشء الجديد نموذجا في دراستنا، أما المبحث الثاني فقد تطرقنا فيه للمدرسة الإصلاحية في الأوراس بين الأثر الثقافي والاجتماعي وبينا أثرها الاجتماعي والثقافي والتحولات التي أحدثتها في المجتمع أما المبحث الثالث تناولنا فيه دور تعليم ج م ع م ج في تطوير التعليم المنظمات الأخر كالزوايا والاتجاه الاستقلالي وتعليم الثورة فيما بعد وحتى أثره في تعليم الشخصيات الحرة.

7- نتائج الدراسة

وقد خلصنا من دراستنا الى النتائج التالية، حيث إنه على الرغم من محاولة المستعمر إضعاف الروح المعنوية للشعب الجزائري ، فقد تولدت فيه مشاعر التحدي حيث أراد الاستعمار إضعافه واستسلامه بسهوله ،فظهرت به بذلك حياة نضالية من لدن أفراد أهليين رغم ما كانت تمثله أوضاعهم من صعوبة في إظهار أي نشاط، وقد تنوع وتعددت أوجه النضال لدى المجتمع الأهلي، وكانت الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء أحد أهم هذه الحركات النضالية التي كان الشيخ عبد الحميد بن باديس صاحب الفضل في ظهورها وصياغة طبيعة توجيهها بمعية فريقه الإصلاحي الذي استطاع استثمار قدراته وإقناعه بمشروعه.

كان التعليم هو الركن الأساسي والقاعدة التي نظر إليها الإصلاحيون الجزائريون في إصلاح الجوانب الأخرى، وبذلك تقدم نشاط التعليم النشاطات الإصلاحية الأخرى لجمعية العلماء، من هذه الأهمية والمكانة التي اكتساها في فلسفة الإصلاح لجمعية العلماء، فإن ابن باديس ورفقاءه أول ما بادروا له في بداية مشوار نضالهم هو التعليم.

لقد كان التعليم الذي أسس له رواد الإصلاح في الجزائر تعليما عربيا حرا، حاملا لمشروع حضاري طموح يرتكز على المقومات الوطنية (العربية - الإسلامية) التي حاولت السلطات الاستعمارية محاربتها وطمسها، وكان هذا التعليم الجديد قد كون نواته قادة الفريق الإصلاحي وبعد مشوار من التجربة أصبحت حلقاتهم نماذج للتعليم الذي يتوسع من قبل تلاميذهم وتبنته جمعيتهم.

نظمت الجمعية تعليمها على نحو عصري حيث حدثت برامجه ومقرراته على نحو يخدم الوطنية والوعي لدي الأهلي، زيادة على تطويره على نحو منظم إداريا وتسييريها يحاكي التنظيم التربوي العصري، يكفل التغير المنشود في المجتمع لما أصبحت مؤسساته من القوة حتى تتحمل هذه المهمة والمسؤولية.

زيادة على أن جمعية العلماء عملت على ضمان توفره لعموم أبناء المجتمع الجزائري المسلم المحروم من التعليم، وإن كانت بدايته القوية بالمدن والحواضر المعروفة بظروفها المستوعبة لاستقبال مؤسسات التعليم الإصلاحي، فإنه بعد سنوات قليلة استطاعت أن تصل به حتى في تلك المناطق الريفية والنائية التي كانت شروطها وظروفها أبعد ما تكون على استقبال هذا النوع من الفكر والنشاط، ومنطقة الأوراس بأحوازها المختلفة مثال على هذه المناطق والمجتمعات، وهي المنطقة التي تناولناها بالدراسة ووقفنا على هذه النتائج.

فالظروف الاقتصادية لسكان الأوراس قد تأثرت بالقوانين الجديدة التي استقدمها الاستعمار، فمع ضعف مواد الأرض التي كانت تعرفها منطقة الأوراس بسبب قلة الأراضي الخصبة والسهول وصعوبة المناخ وقلة مساحته الرطبة، إلا أن تجربة الإنسان الأوراسي مع بيئته مكنته من خلق توازن بين متطلبات الواقع وشح الأرض حيث استطاع أن يتكيف معها ويخلق توازن بينه وبين موارد أرضها، وهذا من خلال نظام استغلاله لها.

إلا أن القوانين الاستعمارية الجديدة التي أدخلت الملكية الفردية وصادرت الأراضي الزراعية الخصبة وحددت أراضي الرعي، أدت إلى ضرب البنية الاقتصادية للأهالي الأوراسيين، وبذلك ضرب التوازن الذي كانت تكفله لهم الأرض من خلال نظامهم في استغلالهم لها ، كما أدت الوسائل الجديدة مثل وسائل النقل ودخول البضائع الصناعية وفرض استعمال النقد في المعاملات التجارية إلى هز النظام التجاري للأهالي الذي أصبح غير قادر على المنافسة .

ومع كل هذه الوضعية التي ساهمت في تدهور الوضع الاقتصادي والمادي للسكان الأوراسيين إلا أنها لم تظهر من جانبهم ردة فعل أو إجراءات للتكيف مع الواقع الجديد إذ بقي الأوراسي يستغل بيئته كما ورثها عن أجداده من العصور القديمة رغم أن ثروته بهذا الاستعمال التقليدي كانت تذهب من يده شيئا فشيئا وتزداد ظروفه الاقتصادية والمادية بؤسا عن بأس.

إن التحولات الجديدة هذه لم تمس الوضع الاقتصادي لوحده بل أيضا استهدف الاستعمار الوضع الاجتماعي من خلال التنظيمات الإدارية والاجتماعية وأيضا الأثر الذي تركته التحولات الاقتصادية على الواقع الاجتماعي لارتباطهما الكبير مع بعضهما البعض، فمثلا أول ما استهدف في التحولات الاجتماعية الجديدة ما كان نواة ووحدة المجتمع الأهلي ألا وهي القبيلة فقد أدت التنظيمات الإدارية والاقتصادية إلى إضعاف القبيلة التي كانت السلطة الاجتماعية والسياسية ولعل هذا ما كان يصبو إليه الاستعمار، فلقد تحول المجتمع من وضع اجتماعي تحت نظام القبيلة يتساوى فيه كل أفرادها ويشتركون في استغلالها وانجاز أعمالها إلى مجتمع يظهر فيه التمايز جليا بين غني فاحش وفقير مدقع، فتحول سكان الأوراس إلى جيش من الفقراء، وطالعتنا تقارير الإدارة المحلية الفرنسية لمنطقة الأوراس عن إحصائيات تظهر فئة الفقراء أوسع الفئات الاجتماعية والتي كانت تضم جموع المساكين والخماسين والعمال الموسميين والرعاة والمستخدمين المؤقتين فشكلوا فئة كادحة مرهقة ينتظرون ما تجود به

الجمعيات وصناديق المعونات أو تبرعات المحسنين التي كانت لا تقدر على توصيل كل معوناتها لهذا العدد الهائل.

كما أدى انكفاء الإنسان الأوراسي وصلابته في المحافظة على ثقافته ورفضه لأي نوع من الاحتكاك مع الغازي الجديد إضافة إلى منعة جبله لدخول أي جديد رغم محاولات الطمس إلى بقاءه يحاكي خبرات الحياة والتجارب الماضية لأجداده من العصور القديمة إن على مستوى سكنه الذي بقي يراعي فيه بعد مقاومة الطبيعة - كالحرارة والبرودة أو السيول - والعدوان الخارجي، أو التزامه الخيمة التي وفرت له مزية سهولة الطي والنقل في حياة تعرف الحل و الترحال أغلب شهور السنة، ولم يظهر أي تطور في نمط سكنهم يحاكي السكن العصري رغم المحاولات المحتشمة للاستعمار التي أبداها في نقل بعض السكان إلى ساكنات عصرية جديدة (كقرية الزنوج) هذا المظهر للإنسان الأوراسي أيضا لوحظ عليه في التطبيب فلقد كان لجوؤهم إلى الطب الخرافي والسحري واسع واعتقادهم فيه راسخ وعلى الرغم من دخول الطب الحديث من خلال المستشفيات التي أقيمت في بعض دوائر الأوراس وظهور أطباء من الأهالي إلا أنه حتى عقد الثلاثينات من القرن العشرون م (20م) مازالت الثقة في الطلبة والقازنات أقوى من الطب الحديث ولعل هذا يعود بدوره إلى الوضع الثقافي الذي هو الأخر بقي مشدود إلى الثقافة القرواسطية التي تهيمن فيها الثقافة المرابطية الصوفية وقد تعززت بانفراد الزوايا بالسكان في حوزات الأوراس وقلت التأثيرات الثقافية من الوسط الخارجي.

فبقى التعليم تعليما دينيا بحتا وبسيطا وقد تراجع انتشاره الذي كان يحققه قبل الاحتلال بفعل ضرب هذا الأخير لمؤسساته كالمساجد والزوايا والكتاتيب والمدارس بحجة أن مضمونه يدعو إلى العنف والكراهية كما أدت المقاومات إلى موت العديد من العلماء أو تعرضهم للنفي أو الهجرة فضلا عن أن التعليم قد تراجع لحساب انشغال الناس بتوفير الرزق أولا وتوجيه العائلات أبناءها للمشاركة في تذليل الرزق وأبعدوا بذلك عن المدارس مما أدى إلى تفشي الجهل وقلة التعليم في الوسط الأوراسي.

أما التعليم الفرنسي الذي كانت تعتمده الإدارة في تحقيق الغزو المعنوي فرغم المحاولات الفرنسية في مرحلة الحكم العسكري لتحقق الإدماج والحضارة الأوروبية إلا أن إرادة المستوطنين كانت أقوى في توقيفه لأنه في نظرهم يساهم في تحسين أوضاع المسلمين وتطوير وضعهم وهذا يهدد مصالحهم ومستقبلهم في الجزائر، كما كان أيضا ربط السكان التعليم الفرنسي بالتنصير وراء فشل هذه المحاولات إذ لم يتحقق أي توسع في التحاق أبناء الأهالي بالمدرسة الفرنسية رغم كل الإجراءات الردعية والترغيبية للأولياء من قبل إدارة الاحتلال.

أمام هذا الوضع الثقافي البائس وانكفاء الأوراسيين على أنفسهم وانعزالهم على العالم الخارجي كاستراتيجية لمقاومة الأخر، إلا أنّ هذا لم يمنع ظهور حالات حققت الاستثناء في اختراق هذه العزلة من خلال شخصيات محدودة هاجرة لطلب العلم بجامعات الشرق فاستطاعت أن تسمح لها الظروف في هذه البيئات المنفتحة والتي كانت تعيش بوادر نهضة إصلاحية أن يطلعوا على الأفكار الجديدة ويأخذوا منها العلم وبعد عودتهم إلى مناطق إقامتهم أدوا أدوار تعليمية واجتماعية ضمنتها رؤيتها الإصلاحية، غير أن هذه الحالات مثلت أقباسا في بحور من الظلمة المرابطية فلم يعم نورها كل المنطقة ولكنها استطاعت أن تسمح لبعض تلاميذها أن يتلمسوا الدرب إلى أن وصلوا فجر الإصلاح الذي جاء مع الشيخ ابن باديس ويساهموا في ربط المنطقة بالمشروع الإصلاحي الوطني.

لم تكن منطقة الأوراس حتى بداية ثلاثينات القرن العشرين (20م) رغم بداية التحولات التي حصلت فيها تنبئ أن إمكانياتها الثقافية وبناءها الاجتماعي له القدرة على تبني الفكر الإصلاحي لجمعية العلماء ذو الطابع الديني المديني (نسبة إلى المدينة) الذي يتناقض مع الدين الريفي الذي يمثله الفكر المرابطي المهيمن والحاكم لقبضته على أغلب الجماهير الأوراسية والذي من سماته تفشى الجهل في أوساطها والاعتقادات الخرافية على كل مستويات حياتها .

غير أن عمق الأوراس كان يخبئ إمكانيات احتضانه وتعايشه مع الفكرة الإصلاحية ،ولعل معرفة الإنسان الأوراسي بوضعه المتخلف ووعيه بالتحولات التي حدثت خارج محيطه وإيمانه بضرورة اللحاق بركب الحياة التي أصبحت تعيشها باقي مناطق الوطن، وكان التعليم أحد أهم هذه الحاجات التي وعاها، فظهرت بذلك موجة من الطلبة الأوراسيين الذين غيروا مسارات ووجهة تعليمهم من المسار التقليدي الذي ارتبطت به الأوراس نحو زوايا الجنوب- (طولقة وخنقة سيدي ناجي) أو غربا نحو الزاوية الحملاوية بتلاغمة أين كان يشدهم التأثير الروحي للرحمانية - إلى الشمال أين دروس الشيخ ابن باديس بالجامع الأخضر بقسنطينة ذات الطابع الإصلاحي، وما يلفت الانتباه أن نوعية الطلبة هذه كانت أغلبها أبناء لعائلات مرابطية فقد شدنا السؤال في دراستنا إلى كيف ترضى عائلات مرابطية بالتعليم الإصلاحي لأبنائها وهو التعليم المعروف بنزعته العدائية والمناقضة للتعاليم والمصالح المرابطية، إلا أن وقوفنا وتتبعنا للأحداث سوف يفسر لنا ويبرر لنا هذا السلوك والمفارقة التي كادت تستثني بها منطقة الأوراس من حيث حجمها وعدد أفرادها ولعل أهمها ما يلي :

1_ نجاح الزيارات التي كان يقوم بها الشيخ ابن باديس إلى منطقة الأوراس من اجل زرع الثقة بينه وبين هذه العائلات مما أدى إلى طمأنتهم وزوال كل المخاوف والهواجس التي كانت تصل ضده أو ضد فكرته.

2_ نجاح الحالات الإصلاحية السابقة في الأوراس في بناء التعايش بينها وبين الفكر المرابطي وقد رأينا في دراستنا كيف وظفت الشخصيات الإصلاحية العقارات المرابطية في أداء مهامهم التعليمية ذات الطابع الإصلاحي بهذا مهدت إلى التقارب الإصلاحي المرابطي في المنطقة

3_ رغبة أغلب الزوايا التي أرسلت أبنائها أن تعيد مجدها ومكانتها من خلال إعادة أدوارها التعليمية والاجتماعية والتي رأتها أنها أصبحت لا تتأتى مثل السابق بالوراثة العائلية فقط، بل بالمكانة العلمية ورأت أن وجهة العلم أصبحت في التعليم الحديث الذي يكفله اليوم التعليمي الإصلاحي عند الشيخ بن باديس.

هؤلاء الطلبة الذين كانوا يزدادون و بشكل مستمر ليشكلوا بذلك همزة وصل بين الفكر الإصلاحي والمجتمع الأوراسي.

والحق أن ظهورهم الأول والغالب في النشاط الإصلاحي قد تجلى في أدوارهم التعليمية، كان عنفوان الشباب ووعي الفكرة وأخلاق الواجب حوافز لنشاط هؤلاء، لم يكن الرفض الاجتماعي لمبادراتهم الطارئة على وسطهم ولا ملاحقات وعقوبات الإدارة الاستعمارية ولا حتى ضعف امكانيات ومواردهم لتأسيسهم فكرتهم في حساباتهم ،كان الإيمان بالفكرة وحرقتهم لتنفيذها هي الموجه لهم .

فكان الشيخ الطاهر مسعودان طليعة هؤلاء الرجال الذي أسس تعليمه بداية العقد الثاني من القرن 20م من بضعة تلاميذ لمنطقة نائية معزولة بمسجد بسيط توجههم على أكبر طموح السير بعادة مجتمعهم الحاق صبية هذه الأعمار بكتاب المسجد لحفظ آيات وسور من القرآن الكريم .

غير أن الشيخ الطاهر مسعودان كانت له فكرته ومشروعة فبدأه مما كان متاح وراح لتوسيعه وتفعيله، ليصادف طموحه هذا تأسيس المسجد الجديد بباتنة ورغبة نحبها في تأطيره من قبل كفاءة علمية ودينية تليق بمقام المسجد الجديد، فكان الخيار عليه ،وفعلا وجد الشيخ في هذا المسجد والوسط الجديد باتنة المدينة تنفيذ رغبته ،فأسس ونظم لحلقته التعليمية المسجدية التي خرج بها عن التقليد الذي ألفه التعليم التقليدي و أظهر فيها إصلاحه وروحه التجديدية مضمونا وطريقة وتسييرا ،ثم توسع لإنشاء مدرسة ملحقة بالمسجد ليتفرق للتعليم ويوجه كل جهده ووقته لهذه المهمة مبتعدا على كل شواغل أخرى سياسية وغيرها ،وفعلا بعد مدة من جهده هذا لاحت نتائج مبادرته وإصلاحاته في نوعية وعدد الخرجين عليه، وما فشى في الوسط الباتني من معارف وممارسات دينية وتعبدية وحتى وعي اجتماعي تعدى إلى السياسي بطريقة غير مباشرة.

لقد كانت محصلة جهود الشيخ الطاهر مسعودان الحركاتي بالغة الأهمية وذات قيمة مضافة للمشهد الثقافي والاجتماعي في الأوراس، جاءت في وقتها فبذلك

يكون قد ضبط بوصلة الزمن في الأوراس على زمن النهضة والإصلاح في الجزائر، والتي لم يكن للأوراس أن يتح لها هذه الفرصة لولا تلك الجهود المتقدمة التي استأنفها الشيخ مع بداية عقد العشرينات وبنفس الخصائص التي عرفتها جل مناطق الثورة الإصلاحية في البلاد.

أما الشيخ علي مدور بن شكشوك فقد كان يحارب رواسب التخلف والتقليد في وسط أمي تعضدهما بيئة مغلقة طبيعيا لا يتسرب إليها الا النزر اليسير من الجديد الذي لا يظهر تأثيره مع رتابة وركود مشهد ثقافي واجتماعي ألفته ساكنة وارتاحت إليه في كسل وخمول، فراح الشيخ بدروسه المسجدية وموقعه كإمام مستثمرا صورة التبجيل للإمام عند مجتمعه يبني فهوم جديدة بخطة تعليمية متطورة مستندا على ما حصله من تكوينه الباديسي ،فكانت دروسه حية معاشة تعكس قضايا الناس في هذه البيئة البسيطة ،فبذلك غط حاجتهم التعليمية والثقافية بمثل ما كان يحدث مع الأئمة الكبار في الحواضر والمدن المعروفة.

ولم يقتصر هذا النوع من الجهد عند هذين المثالين، بل وجدنا من خلال تتبعنا لأغلب مناطق الأوراس أن العقوبات التي تلت حضور ج ع م ج كثرت بالعديد من الرجال الذين تولوا التعليم المسجدى بمساجد مناطقهم وأحدثوا من خلالها ثورة تعليمية وإصلاحية كانت نتائجها جلية في التحولات التي عرفتها الأوراس.

في فضاء تعليميا أخر هو المدرسة برز رواد للتعليم الإصلاحي، من خلال جهودهم المتميزة إن على مستوى توسيعه جغرافيا في استراتيجية لتعميمه وإيصاله لكل أبناء المجتمع الأوراسي أو على مستوى ممارسته كفعل تعليمي فعال وناجح يأخذ بخصائص ورؤية التعليم الإصلاحي لجمعية العلماء من حيث العمارة أو التأثيث أو الإدارة والتسيير أو المعارف والبرامج والطريقة، فكان عمر دردور بحركيته واجتهاده الفضل الكبير في توسيعها أو نشرها في كل مداشر وقرى الأوراس حتى أصبحت جزء من المشهد الاجتماعي للمنطقة ،وقد كان إلى جنبه ثلة من الرفاق والأصحاب كالغسيري وماله من فضل في التدريس والتكوين الكشفي

الذي تجاوز به الأوراس إلى كثير من مناطق الوطن مساهما ببصمة بارزة في هذا التطور والنجاح الذي صنعته جمعية العلماء على صعيد التعليم في مجتمعها، إضافة إلى أحمد السرحاني وأحمد بن السعدي السرحاني وسعد حب الدين وأخرون كثيرون من الأوراسيين، الذين ساهموا في معركة العلم والتعليم ضد الجهل والإدارة ولم تثنى عزائمهم قناعتهم وواجبهم تجاه مجتمعهم، بل كان نضالهم رمز التحدي للإدارة بكل ما أتيت من غطرسة وظلم، كان كل واحد منهم مساهمته المتميزة التي اجتمعت مع مجهودات الأخرين لتثري المشهد التعليمي وتتعاون على ازاحة الجهل والتخلف وتحل محله انوار العلم والوعي.

هكذا كانت المدرسة تنتصب بشموخ وعز في المشهد الثقافي والاجتماعي بالأوراس، بإيجابية بين أثر وتفاعل راسمة تحولات جوهرية في الذهنية الأوراسية، والتي كانت سببا في تدعيم طباع الثورة ومحاربة الاستعمار، إذا لوحظ على هذه المدرسة هذا القدر من الإيجابية فإن الجهات الأخرى من منظمات دينية وأحزاب للحركة الوطنية كانت تريد أن يكون لها قسطها أو مساهمتها بها في المجتمع فظهرت مدارسهم بعنوان قريب أو يماثل برامج جمعية العلماء.

وبهذا تدعم التعليم وتأطر بكل مؤسسات المجتمع وأصبح ظاهرة ثقافية بالمجتمع بعد أن جفف الاستعمار ولعقود طويلة المشهد منه، وحوّل نهار المجتمع المسلم ليل استعماري.